الفصل الثامن
سميحة خليل
من رائدات النضال الوطني والاجتماعي

ساجي سلامة

حاولتُ في هذه المقالة تقديم صورة مختزلة حول شخصية رائدة من رائدات العمل الوطني والإجتماعي الفلسطيني، سميحة خليل: دورها وأبرز محطات حياتها الكفاحية. وقدّرتُ أن أفضل طريقة لإنجاز هذه المهمة هي من خلال إعادة عرض بعض ما وجدته، بعد وفاتها في ٢٦/ ٢/ ١٩٩٩، مدوَّناً أو مجمَّعاً في أوراقها وملفاتها الخاصة.

وتعمدتُ في هذا السياق الابتعاد عن تسجيل انطباعاتي الشخصية أو آرائي

الذاتية حولها وحول دورها، من موقع قرابتي العائلية، ومعايشتي الشخصية لها كونها والدتي ، وذلك توخياً للموضوعية، ولغرض تقديم صورة محايدة ما أمكن. ولذلك إرتأيتُ أن أستند بالدرجة الرئيسية على مقتطفات مقتبسة مما كتبه عنها بعض من عرفها وعايشها من الأصدقاء والمعارف، الذين أتيح لهم الإطلاع عن كثب على تجربتها المتنوعة، وسجّلوا بعض الانطباعات حولها، وحول شخصيتها ورؤيتها، وحول دورها الوطني والاجتماعي.

وعليه فإن ما سيرد هنا سيكون أقرب إلى إعادة تحرير للمادة التي تضمنتها تلك الوثائق، وليس دراسة بحثية بالمعنى الدقيق للكلمة. وما يجدر الإشارة له أيضاً في هذا السياق هو أنني راعيت في انتقائي للموضوعات وللوثائق المتاحة، إعطاء مساحة واسعة للدور العملي الذي قامت به سميحة خليل على الصعيد الوطني العام في مناهضة الإحتلال وفي الدفاع عن برنامج الحركة الوطنية الفلسطينية؛ وكذلك على صعيد دورها الإجتماعي والنسوي المبادر، وبالأخص في مجال تفعيل الحركة النسائية في المناطق المحتلة؛ ولم أتطرق للجوانب ذات الطابع الشخصي والإنساني في حياتها.

ولذلك فقد سلطتُ الضوء على المواد التي تناولت دورها في قيادة «الجبهة الوطنية الفلسطينية»، و«لجنة التوجيه الوطني»، و«الإتحاد العام للمرأة الفلسطينية»، و«جمعية إنعاش الأسرة». كما أبرزتُ على نحو خاص تلك المواد المتعلقة بقرارها خوض الإنتخابات والتنافس على موقع رئيس السلطة الفلسطينية عام ١٩٩٦؛ والانعكاسات التي أحدثها ذلك القرار، وردود الفعل عليه، على الصعيدين الفلسطيني والإسرائيلي.

البدايات

بدأت سميحة خليل نشاطاتها الإجتماعية والوطنية منذ أواسط الخمسينيات،

وفي أواسط الستينيات ساهمت في تأسيس «الإتحاد العام للمرأة الفلسطينية»؛ كما ساهمت في التحضيرات التي مهّدت لإقامة «منظمة التحرير الفلسطينية» عام ١٩٦٤، والتي بادرت لها القوى والشخصيات الوطنية والنقابية والإجتماعية في مختلف التجمعات الفلسطينية؛ وكانت عضواً مؤسساً في أول مجلس وطني فلسطيني، في مدينة القدس عام ١٩٦٤، وذلك باعتبارها أمينة سر الإتحاد العام للمرأة الفلسطينية. وفي مرحلة ما بعد الإحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧، تكرّست صورة سميحة خليل على المستوى الوطني الفلسطيني باعتبارها شخصية وطنية نسائية وناشطة سياسية واجتماعية لعبت دوراً قيادياً رائداً في المسيرة النضالية للشعب الفلسطيني؛ حيث كانت عضواً بارزاً في قيادة «الجبهة الوطنية الفلسطينية» في المناطق الفلسطينية المحتلة، والمشكّلة من إئتلاف وطني عريض ضم ممثلين عن كافة الفصائل والأحزاب والنقابات المهنية والعمالية والشخصيات الوطنية المستقلة.

وقد إعتبر المجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقد في القاهرة في آذار/ مارس ١٩٧٧ الجبهة الوطنية الذراع السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية في المناطق المحتلة. كما لعبت سميحه خليل دوراً بارزاً في تشكيل وتفعيل «لجنة التوجيه الوطني» عام ١٩٧٨، والتي أصبحت الهيئة القيادية العليا للحركة الوطنية في المناطق المحتلة، وذلك بعد قيام سلطات الاحتلال الإسرائيلي بإعتقال عدد من قيادات الجبهة الوطنية وإعلانها الجبهة تنظيماً «معادياً وغير مشروع». وكانت «لجنة التوجيه الوطني» قد ضمّت رؤساء البلديات المنتخبين في الضفة الغربية وقطاع غزة بالإضافة لمندوبين عن الأحزاب والفصائل والمؤسسات الوطنية. وحاولت «لجنة التوجيه الوطني» تكريس علنية نشاطاتها، واتخذت من «مجمّع النقابات المهنية» في القدس مقراً لها، ولكن بسبب دورها النضالي وتبنيها لبرنامج منظمة التحرير

الفلسطينية أعلنت سلطات الإحتلال تلك اللجنة القيادية أيضاً هيئة خارجة عن القانون، وقامت باعتقال وإبعاد وفرض الإقامة الجبرية على معظم أعضائها.

وواصلت سميحة خليل دفاعها عن البرنامج الوطني الفلسطيني، ورفع راية منظمة التحرير الفلسطينية، داعيةً إلى مناهضة الاحتلال، وتكريس الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني، والمطالبة بتحقيق حريته واستقلاله، ما أدى إلى إعتقالها على يد قوات الإحتلال مرات عديدة.

وفي العام ١٩٨٠ فرضت عليها سلطات الإحتلال الإقامة الجبرية المنزلية لمدة سنتين ونصف، ومنعتها بعد ذلك من السفر إلى خارج الضفة الغربية[١].

لعبت سميحة خليل دوراً بارزاً في قيادة الحركة النسائية والاجتماعية الفلسطينية من خلال رئاستها للإتحاد العام للمرأة الفلسطينية في الأراضي المحتلة ، ورئاستها لجمعية إنعاش الأسرة؛ وكذلك من خلال دورها في قيادة الإتحاد العام للجمعيات الخيرية . وكان لجمعية إنعاش الأسرة مكانة خاصة في قلبها ، وتعتبرها بمثابة أسرتها الحميمة، وجمعتها مع عضواتها وموظفاتها وطالباتها أقوى أواصر المحبة والترابط . وأعطت سميحة خليل من خلال الجمعية جُل طاقتها لخدمة القضية الوطنية ولخدمة المرأة الفلسطينية والأسر الفقيرة وأهالي الشهداء والمعتقلين.

توضح سميحة خليل في كتاب رصد سيرتها النضالية، كيف اكتسبت «جمعية إنعاش الأسرة» زخماً إضافياً نوعياً على إثر هزيمة حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧، فتقول:

«كان من أكبر المصائب التي استجابت لها الجمعية هي كارثة ترحيل أهالي قرى اللطرون الثلاث: عمواس وبيت نوبا ويالو، في منطقة رام الله على يد قوات الاحتلال. وعندما سمعنا بالأمر في حينه وذهبنا لنرى ما حدث، وجدنا أهالي تلك

(١) مقابلة سميحة خليل، جمعية إنعاش الأسرة» البيرة، نيسان/ أبريل ١٩٩٩.

القرى، ما يزيد عن العشرة آلاف منهم، نساءً وأطفالاً وشيوخ يهيمون تحت الأشجار وفي الحقول، دون طعام أو غطاء. وعلمنا من الناس أن بعض كبار السن والمرضى والمعاقين الذين لم يتمكنوا من السير والخروج من بيوتهم إثر الإنذارات التي أطلقتها، عبر مكبرات الصوت، القوات الإسرائيلية التي احتلت تلك القرى، قد دفنوا أحياءً تحت ركام بيوتهم التي دمرتها تلك القوات. وتضيف، عدنا إلى البلد وأخذنا نخبر الناس بما جرى، وننقل لهم صورة عما رأينا، ونستثير هممهم للتبرع لصالح هؤلاء المنكوبين؛ ولكن معظم الناس الذين كانوا مشغولين بهمومهم، حيث لم يكونوا قد استعادوا بعد وعيهم من الذهول الذي أحدثته صدمة الحرب والاحتلال الإسرائيلي، لم يستجيبوا لدعوتنا لهم تقديم يد المساعدة بالشكل الذي يتناسب مع حجم الكارثة. وقدَرنا أن المواطنين لن يستجيبوا إلا إذا رأوا ما حدث بأعينهم. فصرنا ننقلهم بالسيارات والباصات إلى منطقة اللطرون ليروا ما حدث؛ عندها أفاق الناس وتفاعلوا مع الوضع، وأخذت المساعدات بالتدفق علينا، من طعام جاهز، ومواد غذائية، وملابس، وأوعية للطبخ. وكنا نحمل كل ذلك ونوزعه على أهالي تلك القرى لسد حاجاتهم المباشرة. ولكننا بعد أيام قليلة تأكدنا من أننا لا نستطيع إعالة ما يزيد عن العشرة آلاف نسمة بشكل مستمر؛ وأن علينا أن نُعيد تنظيم جهودنا. فقررنا إقامة لجنة أسميناها «لجنة إغاثة المتضررين»، ضمت شخصيات وطنية بارزة من مدينتي رام الله والبيرة. وقد تعهد أعضاء اللجنة بجمع التبرعات من الأهالي على نحو منتظم. وأصبحت تلك التبرعات أشبه بضريبة تُجبى شهرياً من المواطنين حسب مهنة ودخل كل مواطن. وقد التزم الأهالي بالدفع لمدة سنتين كاملتين، إلى أن أصدر الحاكم العسكري الإسرائيلي أمراً بمنع جمع تلك التبرعات. ومع ذلك فقد استمر الناس بتقديم المساعدات العينية.

كانت تلك المرحلة الصعبة هي بداية نهوض واسع لجمعية إنعاش الأسرة التي

نمت من مؤسسة صغيرة، اضطرت للمحافظة على وجودها إلى الاستدانة من بلدية البيرة مبلغ مائة دينار، وذات مقر يتكون فقط من غرفتين صغيرتين، تعمل فيه موظفة واحدة وثماني متدربات، إلى مؤسسة ضخمة لها ثلاث عمارات، وكلٍ منها مكونة من ثلاثة طوابق، ويعمل فيها ما يزيد عن مائتي موظفة وموظف، وتضم ما يزيد عن الثلاثمائة متدربة في مختلف المجالات، وتقدم خدماتها المباشرة للآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني؛ وتتجاوز دورتها المالية السنوية عن المليون دينار أردني؛ حيث أصبحت الجمعية تدير برامج تشغيل وتأهيل وبرامج للمساعدة الإجتماعية، وتمتلك مشاريع إنتاجية كبيرة، مثل مصنع المنتجات الغذائية، ومشغل النسيج والتطريز، ومراكز التأهيل المهني في مجالات: التمريض، والخياطة، والطبخ، وأعمال السكرتاريا، ومهنة التجميل وقص الشعر، بالإضافة إلى دار لأبناء الشهداء والأيتام، ومركز للحضانة وروضة للأطفال؛ وبرامج للتأمين الصحي، وبرنامج للتبني وبرنامج للمساعدات الطارئة، وبرامج للبعثات والقروض للطلاب الجامعيين، بالإضافة لبرامج تعليم الكبار ومحو الأمية[1].

ملامح من شخصيتها

حول شخصية سميحة خليل تقول السيدة فريدة العمد صديقتها وزميلتها، التي تولت رئاسة «جمعية إنعاش الأسرة» بعد وفاتها: « كانت سميحة خليل إمرأة شامخة في نضالها ضد الاحتلال الغاشم، مؤمنة بحقوق الشعب الفلسطيني وثوابته في إقامة الدولة الفلسطينية وحق العودة وتقرير المصير. عرفتُها صاحبة مبدأ، لا تلين عزيمتها أمام غطرسة العدو وشراسته. وأدت مواقفها إلى الزج بها في السجن، كما فُرضت عليها الإقامة الجبرية، ومُنعت من السفر لزيارة أبنائها، ولكنها لم تتراجع ولم تتنازل» .

(١)شريف كناعنة، عبد اللطيف البرغوثي، مناضلة من فلسطين دراسة في حياة ونضال سميحة خليل، البيرة ١٩٩٢.

وتضيف السيدة العمد: « عملت سميحة خليل من أجل مساعدة المرأة على تخطي حواجز التخلف والجهل والاتكالية، فأقامت ستة مراكز للتدريب المهني للفتاة الفلسطينية كي تؤمّن لها مهنة تحميها من ذل السؤال عند الحاجة، وتمنحها دخلاً يمكّنها من رعاية أسرتها خاصةً في ظل غياب الأخ، أو الزوج، أو الإبن المعتقل، أو الشهيد. وكانت تردد دائماً أن تعليم الفتيات مهناً مختلفة ليس هو الهدف الوحيد للجمعية، حيث تستهدف الجمعية أساساً خلق الفتاة الواعية وصقلها لتكون اللبنة الأولى الصالحة في بنيان الدولة الفلسطينية المستقلة» .

عن دورها الوطني تقول السيدة فريدة العمد، «لقد تجاوز نشاط سميحة خليل عملها الإجتماعي في الجمعية فقادت الحركة النسائية بصفتها رئيسة «اتحاد المرأة الفلسطينية» فرع فلسطين، وكانت الجمعية هي المركز الذي يجتمع فيه أعضاء الإتحاد وتنطلق منه الدعوات للاضرابات والمظاهرات والاعتصامات، وكذلك لإصدار البيانات ضد الاحتلال. وقد وقفت سميحة خليل بصلابة تتحدى الاحتلال وقراراته الظالمة، خصوصاً عندما أصدرت قوات الاحتلال قراراً بإغلاق الجمعية لمدة سنتين وصادرت الكثير من ملفاتها ووثائقها المهمة[1]» .

وأما السيدة أمينة العيسوي، عضو الهيئة الإدارية لجمعية إنعاش الأسرة فتقول: « لم تترك سميحة خليل ميداناً وطنياً إلا وخاضته، واعتمدت العمل الخيري رديفاً للعمل الوطني تخفف به عن البائسين والمتضررين من الاحتلال. كانت تسمع أكثر مما تتكلم، وتفكر وتمحص، وبعد ذلك تأخذ قراراً ... وكانت تباشر بالعمل لتجسيد أية فكرة عملية تلوح لها وربما يراها البعض صعبة التحقيق؛ فكانت لا تتردد ولا تصغي للمحبَطين، فتمضي بإصرار للوصول إلى ما تصبو إليه من عمل وطني [illegible] لا تثنيها العقبات والصعوبات وضيق الحال عن الأداء. كانت

(١) مجلة التراث والمجتمع، العدد ٤٣، البيرة، ربيع ٢٠٠٦، ص ٨٥.

سميحة خليل حساسة لإحتياجات الشعب، ويعز عليها أن تراه ذليلاً ومهاناً، وكان هذا الإحساس هو حافز تأسيس جمعية إنعاش الاسرة[1]».

وتقول سعاد عبد السلام، مساعدة سميحة خليل في الجمعية: «كانت سميحة خليل تهتم إهتماماً غير عادي بالطلاب الجامعيين لأنهم جيل المستقبل وقادة الشعب الفسطيني في المجالات المختلفة. وكانت تُخص الطلاب الذين تساهم الجمعية في تغطية نفقات دراساتهم الجامعية على الدراسة والمثابرة والتفوق، كي يدعموا غيرهم من الطلاب المحتاجين بعد تخرّجهم وعملهم» .

وتضيف السيدة سعاد عبد السلام: «في أحد الأيام حضر أحد الخريجين، وكان قد تخرّج طبيباً، وأبدى إستعداده لتعليم طالب محتاج، بالرغم من أنه لم يعمل بعد. فشكرته، ثم سألته عن أسرته؛ ولما عرفت أن عدد أفراد عائلته عشرة وأن والده مزارع، ولديه أخ سينهي التوجيهي ذلك العام، قالت له إذهب وأنفق على أخيك، وساعد والدك وبذلك تكون قد ساعدت عائلة أخرى»[2].

يقول الباحث نبيل علقم، عضو مركز الأبحاث الإجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني :

«بمبادرة من سميحة خليل تكوّن مركز التراث والمجتمع الفلسطيني عام ١٩٧٢؛ وأصدر أول دراسة في التراث بإسم « قرية ترمسعيا - دراسة في التراث الشعبي» عام ١٩٧٣. وفي العام ١٩٧٤ صدر العدد الأول من المجلة الفصلية «التراث والمجتمع» لتُعنى بدراسة التراث الشعبي الفلسطيني. وفي صيف عام ١٩٧٥ أقامت «جمعية إنعاش الأسرة»، في حديقة بلدية البيرة، أول مهرجان جماهيري فلسطيني بعد الاحتلال الإسرائيلي، وذلك يوم ٢٥/ ٧/ ١٩٧٥. ومن

(١)المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(٢)المصدر نفسه، ص ١١٧.

خلال الإعداد لذلك المهرجان تعرّفتُ على طاقات سميحة خليل وقدرتها في التنظيم والحشد والقيادة».

ويضيف الأستاذ نبيل علقم: «وجدت بين أوراقي رسالة مؤرخة في ١٠/ ٩/ ١٩٨١، وجهتها السيدة سميحة خليل إلى الباحثات الاجتماعيات المكلفات بتقديم تقارير البحث الاجتماعي عن الطلبة الذين تقدموا بطلبات للمساعدة، جاء فيها:

« أخواتي وبناتي الباحثات العزيزات،

تحية فلسطينية وبعد،

«عدم وعد أي طالب بالمساعدة حيث أننا سنختار من بين ٨٥ طالباً، ٣٥ طالباً فقط ممن هم أسوؤهم حالاً، ونكتفي بأن يُقال لهم أن اللجنة العامة للمساعدات الطلابية ستقرر، وستبلغك كتابياً بالقرار في أقرب وقت ممكن.

«أن يكون البحث الإجتماعي لكل طالب دقيقاً جداً، وأهم فقرة بالبحث هي رأي الباحثة وملاحظاتها التي ستقنع بها اللجنة العامة للمساعدة أو عدمها.

«أرجو أن تتم دراسة شاملة للعائلة ككل، فمن الممكن أن تكون إحدى البنات قادرة على أن تطرِّز للجمعية أو تدخل إحدى الصفوف المهنية عندنا أو صفوف محو الأمية. ولفت الانتباه للنظافة واستغلال الأرض لزراعة بسيطة كالنعنع، والملوخية أو غيرها، أو عمل صناعات ريفية مثل صواني القش أو الفخار أو تربية الدواجن أو أي شيء آخر، ونحن نسوّق لهم؛ ونبحث جميع مشاكلهم حتى نساعد في حلها لهم. وأرجو أن يكون لفت الإنتباه بصورة لا تجرح كرامتهم بل تشجعهم وترفع من معنوياتهم، وأرجو كذلك أن نلاحظ إن كان أحد أفراد العائلة معتقلاً أو شهيداً أو متضرراً لنعمل لهم مساعدة عن طريق مشروع التبني.

ستعتمد اللجنة على رأي الباحثات، فلتكن تقاريركن عادلة حتى يُعطى كل ذي

حق حقه، حيث يعتمد مستقبل هؤلاء الطلاب على بحثكن العادل.

ولكل منكن شكري وتقديري

«أختكم رئيسة الجمعية

سميحة خليل»

١٩٨١/٩/١٠

***

يعلق الأستاذ نبيل علقم على هذه الرسالة قائلاً: «على الرغم من بساطة الرسالة في تعبيرها وبلاغتها، فإنها تحمل بعض ملامح شخصية سميحة خليل. فهي تدعو إلى العدل، والعمل والاعتماد على الذات، والتعلم والصدق، ومساعدة من يستحق المساعدة ورعاية المتضررين من الاحتلال كعائلات الشهداء والمعتقلين».

يضيف الأستاذ نبيل علقم: «كانت سميحة خليل تمتلك قدرات كبيرة، فهي مناضلة قيادية مخلصة، ذكية، صلبة ولبقة. وكانت تستعمل هذه الصفات حسبما يتطلبه الموقف. وعلى سبيل المثال في أثناء الإعداد لمهرجان العرس الفلسطيني عام ١٩٧٨، رافقتنا السيدة سميحة خليل إلى الحديقة العامة لبلدية البيرة، حيث كان سيقام المهرجان بعد عدة أيام، وذلك لتطمئن على كافة التفاصيل المطلوبة بما فيها دخول الجمهور وأماكن الجلوس، وفقرات المهرجان من عروض وأداء وغناء، ومعرض التراث الشعبي والمضافة وسواها. وفي أثناء وجودنا في الحديقة اقتحمت المكان مجموعة كبيرة من الضباط والجنود الإسرائيليين.

قال أحد الضباط: ماذا تفعلون هنا؟

فأجابت السيدة سميحة: لقد أخذنا إذناً لإقامة المهرجان.

فرد عليها الضابط: لقد أخذتم إذناً لإقامة حفل فلوكلوري، ولكنك لم تذكري أنه سيقام هنا. وأخذ بإطلاق التحذيرات من مخالفة الأحكام العسكرية وتحريض

وإثارة المواطنين.

وبعد عدة أيام، ولدى إقامة المهرجان، حوصرت حديقة بلدية البيرة العامة من قبل قوات كبيرة من جنود الإحتلال وضباطه، حيث قامت بمراقبة تدفق جموع المواطنين للمكان قبل ساعتين من بدء المهرجان، ولاحظت اكتظاظ ساحات الحديقة بأعداد غفيرة من الجمهور المتحمس من مختلف الأعمار، حيث تسلق العديد من الشبان الجدران والأشجار المحيطة بالحديقة. وفي كلمة الافتتاح أعلنت سميحة خليل، أمام الجمهور الحاشد ترحيبها بالضيوف من أبناء شعبنا ومن كافة الفعاليات الوطنية الذين حضروا من كل أنحاء فلسطين من رؤساء بلديات وممثلي النقابات المهنية والصحفيين والقيادات النسائية والسياسية. وما إن بدأت فقرات المهرجان حتى كان الجمهور يهتف مع كل فقرة أو مشهد يشيد بالثورة وبالفدائيين وبفلسطين، ويندد بالاحتلال وعملائه. فجنّ جنون جنود الاحتلال وقاموا باقتحام المهرجان وأخذوا يطلقون النار بكثافة شديدة، ما أدى إلى انفضاض المهرجان ووقوع العديد من الإصابات بين المواطنين.

ماذا قالت الصحافة الإسرائيلية عن سميحة خليل؟

أجرى مراسل مجلة «كوتيرت رشيت» الإسرائيلية مقابلة مع سميحة خليل بتاريخ ١٥/ ١/ ١٩٨٣ ، جاء فيها ما يلي:

«سميحة خليل لا تمنح، في العادة، مقابلات للصحافة الإسرائيلية. وحسب رأيها فإن ذلك مضيعة للجهد؛ فالجميع في نظرها في النهاية من طينة واحدة (بيغين مثله مثل بيريس). وهي تقول أن الإسرائيليين يقعون خارج اهتمامها؛ وهي لا تقبل أن تنشر صورتها في الصحافة الإسرائيلية. يضـ مـ المراسل: سميحة خليل تحظى بتعاطف كبير في الضفة الغربية. وقد شقت ا.طريق أمام جيل كامل من النساء اللواتي جئن من بعدها. وهي عضو في «لجنة اا وجيه الوطني» ممثلة عن الحركات

النسائية». ويصف سميحة خليل بأنها شخصية ذات مقدرة إدارية غير عادية، وتتميز بإخلاصها في عملها وبطموحها؛ وبأنها لا تعطي أهمية للرأي العام الإسرائيلي، وتقف موقف سلبي من الإدارة المدنية؛ كما تشجب روابط القرى.

وينقل عن سميحة خليل قولها «لقد اعتقلتُ خمس مرات، وجرى التحقيق معي في السجون.

واعتقلتُ مرة عندما قام جورج حبش بخطف الطائرات عام ١٩٧٠؛ حيث أبقوني ٢٨ يوماً في سجن الرملة؛ وهم ربما فكروا بالاحتفاظ بنا من أجل مبادلتنا بالمخطوفين» .

يقول المراسل الصحفي: وعندما سألتها عن رأيها في شمعون بيريس قالت (إنه لا شيء)؛ «وماذا عن شارون؟: (إنه لا شيء أيضاً)»؛ «وماذا إذاً عن رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة: (إنه وطني مخلص ويستحق كل الاحترام).» وتقول «أنها لا تطيق الإسرائيليين». وأن أعضاء «حركة السلام الآن» هم أطفال لطيفون، ولكنهم عديمو الأهمية. وأن القوى التقدمية في إسرائيل تحاول العمل، ولكن بدون جدوى، فغالبية الشعب الإسرائيلي بالنسبة لها هم إما مؤيدين لبيريس أو لبيغين، وكلاهما ضد أي حل مع الفلسطينيين.

يضيف الصحفي، «تقول سميحة خليل: بعد عام ١٩٤٨، أصبحتُ لاجئة بعد أن هاجرنا من المجدل إلى غزة، وقد رأيتُ النساء الفلسطينيات اللاجئات وهن يبعن أساورهن الذهبية، وبعد ذلك يبعن ملابس الأفراح في سبيل الحصول على لقمة العيش». «ومنذ ذلك التاريخ، (تقول سميحة خليل)، قررتُ أن أُحوِّل بنات شعبي من متسولات إلى فتيات مستقلات، لا يمددن أيديهن للغرباء». تضيف، « في البداية لعنت أوروبا وأمريكا، وبعد ذلك لعنت العرب، ثم عتبت على الفلسطينيين». وتقول: «إن الذنب يقع علينا نحن الفلسطينيين، فنحن الذين

يتوجب علينا العمل، ويتوجب أن نعتمد على أنفسنا وليس على الآخرين».

وهي تبدي أشد الإعجاب بجمال عبد الناصر وتقول: «لقد علمني جمال عبد الناصر معنى أن

أكون عربية، ومعنى الإخلاص لشعبي والإخلاص لوطني، ولذلك فإن علينا أن نتعلّم من فلسفة ثورته»[1].

أما دالية كاربيل مراسلة مجلة «مونتين» الإسرائيلية فتصف سميحة خليل بالقول: « إمرأة سيماءها بسيط وشعبي وإلى حدٍ ما مضلل؛ وشخصيتها مؤلفة من مزايا تبدو في الظاهر متناقضة؛ فهي طموحة جداً، وصلبة كالفولاذ، ولا تعرف الرحمة، معتزة بنفسها، ومتكبِّرة، ولا تعرف المساومة، وفي الوقت نفسه رقيقة القلب، وقائدة نموذجية ومثالية، شجاعة جداً، وقوية الشخصية، ومستقيمة. وهي من نمط الفلسطيني الذي لا يرغب في الإرتباط بإسرائيل. لذلك فإن كل ما تقوله هو رسالة فلسطينية طاهرة. وهذا هو سر تفوقها وتأثيرها. إنها تمثل صورة لقوة سياسية نشأت من خليط من العصبية القومية والرغبة في مساعدة المضطهدين والضحايا». وتصفها أيضاً بأنها: « إمرأة فلسطينية ذات شهرة مذهلة، تنشط من خلال الجمعيات الخيرية، ومن خلال «لجنة التوجيه الوطني» ذات الصفة السياسية البارزة».

وتسألها الصحفية الإسرائيلية: « هل انت خائفة؟» وتجيب: « أنا لا أخاف من أي شيء، ولا أخاف من أحد؛ خوف قليل تسرَب إلى قلبي بعد محاولة إغتيال رؤساء البلديات (كريم خلف، رئيس بلدية رام الله؛ وبسام الشكعة، رئيس بلدية نابلس؛ وإبراهيم الطويل، رئيس بلدية البيرة)، وهذا شيء طبيعي ؛ وأنا لم اخف على حياتي، بل خفت على زوجي المريض الذي سيبقى وحيداً، لأن أبناءنا ممنوعين من القدوم

(١) مجلة «كوتيريت راشيت» الإسرائيلية ، العدد السادس، بتاريخ ١٥/ ١/ ١٩٨٣. ص ٢٠، ٢١.

إلى الضفة الغربية للعيش معنا ».

وعن جمعية إنعاش الأسرة تقول الصحفية الإسرائيلية: تستخدم الجمعية ٦٤ موظفة بوظيفة كاملة، أما باقي عضوات الجمعية فهن جميعاً متطوعات. وتقول سميحة خليل عن موظفات الجمعية وأعضائها (نحن جميعنا روح واحدة في أجساد الجميع، وهذه هي قوة الجمعية وانطلاقتها المتجددة).

تختم الصحفية تقريرها بالقول: منذ عام ١٩٧٨ وسميحة خليل لا تكتفي بالنشاطات الاجتماعية، بل تشارك في عملية تعزيز الثقة الذاتية في الضفة الغربية. وعندما اعتقل بسام الشكعة جرى تنظيم مؤتمرات ومهرجانات للمطالبة بالإفراج عنه. وفي مؤتمر جامعة بيت لحم استُقبلت سميحة خليل كبطلة حقيقية. وعندما اعتلت المنصة وأنشدت : (إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر)، انتزعت عاصفة من التصفيق المتواصل. وفي نهاية المهرجان، قال محمد ملحم، رئيس بلدية حلحول: « هؤلاء النسوة هن الجمرة، وهن الإحتراق، ولسن الرماد الذي تذروه الرياح بعد اشتعاله».

في ١٠ آذار/ مارس ١٩٩٦، وبعد إنشاء السلطة الفلسطينية على أجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة كتبت سميحة خليل رسالة إلى الدكتور جورج حبش، الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، حثته فيها على العودة إلى أرض الوطن. جاء في الرسالة:

«باسم الله الرحمن الرحيم،

الأخ العزيز الأمين العام للجبه الشعبية لتحرير فلسطين، الدكتور جورج حبش، تحية فلسطينية. وبعد،

لقد سُمح لكم بالعودة إلى وطنكم. فهذه فرصة نادرة لن يحظى بها شعبنا مرة أخرى. أناشدكم أن تعودوا إلى وطنكم حتى نتمكن مع جميع أفراد شعبنا وتنظيماته

من العمل الموحد لإيصال شعبنا إلى أهدافه في التحرير والعودة.

والله ولي الصابرين،،،

أختكم

سميحة خليل»[1]

***

ورد الدكتور جورج حبش برسالة جاء فيها:

الأخت العزيزة سميحة خليل

تحية فلسطينية صادقة،

في البداية أعرب لكِ عن عميق شكري وامتناني لرسالتك اللطيفة التي بعثت بها لي، والتي كان لها وقع مؤثر عليَ لأنها أتت من إنسانة عزيزة وغالية، ولها مكانتها الكبيرة في قلبي، وعقلي، وضميري، نظراً لما تمثله من مواقف وطنية صادقة وجريئة هي مثار عز وفخار لكل أبناء شعبنا الفلسطيني الذين يرون فيك رمزاً وطنياً منغرساً في هموم شعبه وقضيته الأساسية، ويعمل لنصرتها دون كلل أو ملل.

الأخت العزيزة أم خليل، عودتي إلى أرض الوطن كما هي عودة أي مواطن فلسطيني في الشتات لا يختلف عليها اثنان. ولكن بالنسبة لي هناك اعتبارات يجب أخذها بالحسبان، فكيف ستكون نظرة فلسطينيي الشتات لي وهم يرونني أتركهم وأعود من دونهم. إن قرار عودتي يعود بالتأكيد للهيئات القيادية للجبهة، وسواء جاء قرار الهيئات منسجماً مع دعوتك الصادقة والمسؤولة أم مخالفاً لها، فهذا لن يغير من مكانتك، والتقييم العالي والإحترام الكبير الذي أكنُّه لك ورفاقي في الهيئات القيادية للجبهة، .... أكرر شكري وتقديري، وأبعث من خلالك بتحياتي لكل

(١) الهدف (دمشق)، العدد ١٢٣٤، ١٠/ ٣/ ١٩٩٦.

أبناء شعبنا، ولكل الوطنيين المخلصين من أمثالك،

مع بالغ المحبة والتقدير،،،

جورج حبش[1]

***

ترشح نفسها لرئاسة السلطة

ولعل أبرز محطة في مسيرتها الوطنية والسياسية وأكثرها إثارةً، هي انخراطها عام ١٩٩٦ ، في المعركة الانتخابية وخوضها المنافسة على رئاسة السلطة الفلسطينية، مقابل الرئيس ياسر عرفات رحمه الله، وحصولها على ٢٧ , ١١ ٪ من الأصوات؛ مكرَّسةً بذلك تقليداً جديداً وعظيم الدلالة في الساحة الفلسطينية والعربية ، الا وهو قدرة المواطن وحقه في المنافسة على أرفع المناصب السياسية؛ والأهم قدرة المرأة على خوض المنافسة الإنتخابية مثلها مثل الرجل[2].

تقول السيدة فريدة العمد، « لعل أهم رسالة بعثتها سميحة خليل، عندما رشحت نفسها للإنتخابات الرئاسية عام ١٩٩٦ كانت رسالة مزدوجة تبعث بها للمرأة من جهة، وللسلطة الفلسطينية من جهة أخرى: أما رسالتها للمرأة فقد أرادت أن تقول لها: عليك التحلّي بالجرأة والشجاعة والإقدام فأنت جديرة بتبوء أعلى المراكز. وأما رسالتها للسلطة فتقول: نريد نظاماً ديمقراطياً يحقق العدل والمساواة بين أفراد شعبنا الواحد، بدعم حق المرأة في الوصول إلى مراكز صنع القرار، وفي المشاركة الكاملة في عملية بناء الوطن» [3].

---

(١)المصدر نفسه.

(٢)http://www.election.ps/admin/pdf/elections96.pdf

(٣)مجلة التراث والمجتمع، العدد ٤٣، ربيع ٢٠٠٦، مركز دراسات التراث الفلسطيني، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة. ص ٨٩.

وأما المرحوم شفيق الحوت، المفكر والسياسي الفلسطيني البارز، فقد كتب في صحيفة «النهار» اللبنانية معلقاً على ترشيح سميحة خليل، ما يلي[1]:

«ليس من شجاع مثل إمرأة شجاعة، فكيف إذا كانت هذه المرأة هي سميحة خليل؟ ... من هي سميحة خليل ؟ إنها «المرشح» الوحيدة المنافسة لياسر عرفات على رئاسة السلطة الفلسطينية. ... هي من روَّاد الحركة الوطنية الفلسطينية التي لم تكتف بقولة (لا) لإسرائيل، وإنما ترجمت هذه (اللا) إلى نضال يومي متواصل دون انقطاع لم تنل منه قسوة الاحتلال وما لاقته منه من أحكام تعسفية وقيود جائرة؛ لم تثنها رواسب التخلف الإجتماعي ونظرته إلى المرأة، ودورها في الحياة العامة. وإنما على العكس من ذلك تماماً، فقد تجوهرت مع المعاناة وإزداد معدنها الأصيل لمعاناً، كما أصبحت لبنات جنسها (وأبنائه) قدوةً لمن يريد أن يناضل ويكون على مستوى رسالة النضال: عطاءً وتضحيةً وصموداً. ... لقد سمعتُ عن سميحة خليل الكثير وعن النشاطات المتعددة التي كانت تمارسها، وبخاصة في مجال الشؤون الاجتماعية من رعاية لليتامى من أبناء الشهداء والمحتاجين والفقراء ... ولكن، ليس لهذا أكتب عنها داعياً لدعمها والتصويت لها. أكتب عنها، لأنها أولاً قررت خوض المعركة الإنتخابية؛ ولأنها، ثانياً، اختارت (أبو عمار) منافساً لها. ولكن أين الشجاعة في هذا كله؟ ينبع الرافد الأول لشجاعتها، وهو الأهم، من كونها اتخذت قرارها من موقع المعارض لاتفاقية أوسلو، فجعلت من إلغاء الحكم الذاتي هدفاً من أهدافها في حالة فوزها. وذلك لقناعتها (أن إتفاق أوسلو فشل في تحقيق أهداف شعبنا الأساسية: وهي الاستقلال والسيادة الكاملين). ولأن الشعب «يريد دولة مستقلة ذات سيادة فعلية»، ولأنه (لا يمكن تحقيق السلام الدائم والشامل إلا عندما تُرد الحقوق لأصحابها). وبهذا الموقف تكون سميحة خليل قد تميَزت بموقفها عن أكثرية

(١) النهار (بيروت)، ١٥/ ١/ ١٩٩٦.

المعارضين من فصائل وأفراد، الذين رسا قرارهم على إسقاط الإتفاقية من خلال مقاطعة هذه الإنتخابات لا المشاركة فيها... أما سميحة خليل فإرتأت المعارضة من خلال الاشتباك لا الانفكاك، لا سيما وأن قرار المشاركة لا يشترط القبول بالمسار السياسي ولا الموافقة على اتفاقية أوسلو. وهي بقرارها الشجاع هذا فتحت درباً من دروب المعارضة غير الاستقالية التي عرفها المشهد الفلسطيني منذ بداية الحركة الوطنية المعاصرة. وهي تجربة ستبقى مفيدةً وموحيةً؛ وبغض النظر عن نتيجتها ستكون ملهمة في تجارب مقبلة.

وأما الرافد الثاني لشجاعة سميحة خليل فينبع من اختيارها الترشح لموقع رئاسة المجلس لا مجرد العضوية فيه، علماً بانها تعلم أنها لو اختارت العضوية لوصلت دون أي عناء، بل وبترحيب علني أو ضمني من السلطة ورئيسها. وهذا يعني جديتها في هدفها السياسي، أي إلغاء الاتفاق أو تطويرها، فكان خيارها للمنصب المؤثر والقادر على اتخاذ القرار، وهو (الرئاسة) من دون شك. الرافد الثالث لشجاعة سميحة خليل ينبع من كونها امرأة في مجتمع يتأرجح بين من يريد شدّه إلى قيود الموروث من تقاليد المجتمع المتخلفة والمحافظة، وبين من يريد جذبه إلى مجتمع ديمقراطي متقدم تحتل فيه (أم) أطفال الحجارة و(أخت وزوجة ووالدة) المعتقل والسجين والشهيد مكانتها التي تستحق، والتي انتزعتها خلال ربع قرن من النضال العنيد.

إن مجرد ترشيح سميحة خليل لذاتها، هو إنجاز إعلامي كبير لحقيقة مطمورة حول المدى الذي وصلت إليه المرأة الفلسطينية في المجتمع المعاصر، وفي هذا كسب مضمون للشعب والقضية سواء نجحت سميحة أم فشلت. ....».

ويضيف شفيق الحوت قائلاً « لهذه الأسباب مجتمعة، لو كان لأمثالي من أبناء الهجرة الأولى حق التصويت، لما ترددت لحظةً في منح صوتي لسميحة خليل، رغم حيرتي كبقية المعارضين، بين المقاطعة والمشاركة. ألم أقل إنها إمرأة شجاعة؟»

أما الأستاذ المرحوم المحامي ناهض الريس، الشخصية الغزّية البارزة، وعضو المجلس الوطني الفلسطيني، فيعتبر أن الناس عموماً، وإن كانوا قد عرفوا في حينه أن حظ السيدة سميحة خليل في النجاح في التنافس على منصب الرئاسة مقابل الرئيس ياسر عرفات في إنتخابات عام ١٩٩٦ هو بحكم المعدوم، إلا أنهم لم يستغربوا مع ذلك إقدامها على ذلك الترشيح لأنهم كانوا يعرفون أنها لم تقفز إلى ذلك الطموح من الفراغ أو من خلال أحلام الأدعياء، بل قامت بعمل إجتماعي نسوي مليء بالجدوى والنفع. وترشيح سيدة نفسها للرئاسة الأولى في فلسطين لم يكن أمراً منكراً، ولا مستهجناً، ولم يقل أحداً أنه ضده. أما النجاح أوعدم النجاح، فتلك مسالة أخرى. إن طريق سميحة خليل كان طريق العمل والخدمة العامة والتجاوب مع حاجات المجتمع والمشاركة في معايشة أزماته ومآسيه، هو الطريق الذي يمكن أن يحمل المرأة إلى المناصب وإلى المراكز وإلى الجدارة بالمسؤوليات، وذلك بأصوات النساء والرجال، كما هو الحال بالنسبة للمرشحين الذكور تماماً. وبترشيح اليسدة سميحة خليل نفسها في إنتخابات الرئاسة عام ١٩٩٦ أوجدت سابقة محترمة وأدت خدمة نادرة لا للمرأة الفلسطينية والعربية وحسب، ولكن للحياة السياسية في هذه البلاد[١].

أما الكاتبة والأديبة الفلسطينية كوثر الزين، فتعتبر أن مصدر الاستغراب في دخول السيدة سميحة خليل معترك الانتخابات الرئاسية كمنافسة لرمز من رموز نضال حركات التحرر في العالم الحديث، مصدره ليس صغر الحجم النضالي لهذه السيدة، فهي في معزل عن هذا الشك، ولكن لمحدودية مساحة تحركها السياسي، فهي لم تنتم إلى قاعدة حزبية؛ فقد أعلنت بأنها مستقلة وأن ولاءها الأول والأخير لفلسطين. علاوةً على إنتمائها إلى مجتمع محافظ تغلب عليه العقلية الذكورية،

(١) التراث والمجتمع (البيرة)، العدد ٤٣، ربيع ٢٠٠٦، مركز دراسات التراث الفلسطيني، جمعية إنعاش الأسرة، ص١٥٣، ١٥٤.

ويخوض لأول مرة في تاريخه تجربة إنتخابات رئاسية. وما كادت تظهر النتائج حتى شاهدنا سميحة خليل على شاشات التلفاز محتفظة بملامحها نفسها، لتعلن أنها كانت واثقة من أن النتيجة لن تكون لصالحها، ولكنها رشحت نفسها حتى تثبت للعالم أن هناك ديمقراطية وتعددية في فلسطين. وكنت من الذين صدقوا سميحة خليل، واحترمت فيها تلك الإنسانة التي أقدمت على الهزيمة الفردية أمام عدسات العالم وأنظاره من أجل تحسين صورة وطنها في نظر العالم[1].

أما الدكتور جورج حبش، الأمين العام للجبه الشعبية فقد ذكر في رسالة كان قد وجهها للسيدة سميحة خليل حول موقفه من ترشحها للإنتخابات الرئاسية ما يلي:

«... ورغم أننا في الجبهة الشعبية قاطعنا الإنتخابات، فإنني من الناحية المعنوية كنت منشداً نحوك بكل قوة، وكنت أتمنى فعلاً لو كان بمقدوري أن أقدم لك كل ما أستطيع تقديمه من سند وعون، وبعيداً عن حسابات الربح والخسارة، فإنكِ قد فرضت نفسك على الساحة الفلسطينية بقوة، ونلت إعجاب الكثيرين على الساحتين العربية والعالمية نظراً للشجاعة التي تحليت بها بقرارك منافسة رئيس السلطة....، إنني أرى فيك المرأة الشجاعة المتحدية الصلبة التي ترفض أي منصب أو كرسي على حساب الوطن وحريته واستقلاله، فمرحى لك رفيقة درب ونضال دائم ومستديم حتى طرد الاحتلال وتحرير أرضنا الغلية فلسطين»[2].

كيف تعاملت الصحافة الإسرائيلية مع الترشيح

أبدت الصحافة الإسرائيلية اهتماماً غير عادي بالانتخابات التشريعية والرئاسية في المناطق المحتلة، وبشكل خاص تجاه مسألة ترشح إمرأة لمنصب رئاسة السلطة الفلسطينية مقابل الرئيس ياسر عرفات. وقد أجرى الصحفي الإسرائيلي داني

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

(٢) الهدف (دمشق)، العدد ١٢٣٤، ١٠/ ٣/ ١٩٩٦.

روبينشتاين، من جريدة «هآرتس»، مقابلة صحفية مع السيدة سميحة خليل. وبعد مقدمة تحدث فيها عن الدور الاجتماعي والوطني الذي تقوم به في المناطق المحتلة، أشار الصحفي الإسرائيلي إلى أن سميحة خليل تمكنت بفضل سمعتها التي اكتسبتها من نشاطها الجماهيري من تجنيد ٧٠٠٠ توقيع، ما يفوق عدد التواقيع اللازمة لقبول ترشيحها لرئاسة مجلس السلطة الفلسطينية والبالغ ٥٠٠٠ توقيع. وجرت المقابلة الصحفية على النحو التالي[١]:

س: لماذا قررت التنافس ضد ياسر عرفات؟

ج: إنني لا أحب صياغة السؤال بهذا الشكل. إن ذلك ليس بالضبط تنافس ضد شخص ما. إنني أخوض الإنتخابات على وظيفة رئيس مجلس السلطة الفلسطينية. عرفات هو أيضاً رئيس منظمة التحرير الفلسطينية. وأنا أفضِّل القول أنني أتنافس على رئاسة المجلس. وهذا حق كل واحد منا، لذلك قررت استغلال ذلك.

س: ربما نضع السؤال بصورة أخرى: هل تثقين بعرفات، أو لا تعتمدين عليه في مواصلة تحمُّل عبء رئيس المجلس؟

ج: أود القول أنني أريد الإشتراك في المفاوضات مع إسرائيل لأضمن حقوقنا. أحياناً يبدو لي أن اتفاق أوسلو جعلنا أضحوكة. نحن بحاجة إلى تصريح من إسرائيل كي نخرج وندخل إلى كل مكان، وحتى قيادتنا تحتاج إلى تصاريح لكل شيء. وقبل مدة دَعوتُ أم جهاد، الوزيرة في حكومتنا، إلى رام الله، ولم تصل. سألنا عن السبب، فقالوا لنا إن ثمة مشاكل في تصريحها.

هل هذه سلطة فلسطينية؟ هل هذه سيادة؟ نحن نخضع تحت رعاية ووصاية إسرائيل. والسلطة الفلسطينية تعمل كما لو كانت (خاتماً) للتوقيع على القرارات الإسرائيلية. لا يمكن مواصلة ذلك. لقد قررت خوض الإنتخابات ليس فقط

(١) هآرتس، ٤/ ١/ ١٩٩٦، بقلم داني روبينشتاين.

لتحسين أوضاعنا بل لأنه يبدو لي أننا ماضون نحو الكارثة. وإذا إستمر الوضع هكذا فسيحدث انفجار. وربما حرب، وأنا أحذَر من هذا الوضع.

س: غير إن استطلاعات الراي العام تشير إلى أن الجمهور الفلسطيني الواسع يوافق على الاتفاقيات، ويؤيد عرفات؟

ج: هذا ليس صحيحاً. إنني أعيش وسط شعبي وأشاهد ما يحدث. إنني أحس بتدهور الأوضاع. وقد إعتدتُ طوال سنوات أن أشارك النساء من عائلات المعتقلين في مظاهراتهن كل يوم ثلاثاء في القدس. وبعد أن منعونا من دخول القدس تظاهرنا في البيرة، وطوال الوقت كنت أسمع عن ما يحدث في السجون الإسرائيلية. إن الوضع يشتد سوءاً. وحتى بعد اتفاق أوسلو اشتد الوضع سوءاً. إنني أطالب بالإفراج الفوري عن كل المعتقلين الفلسطينيين. أنا غير مستعدة لأن أسمع ادعاءات الإسرائيليين بأن المعتقلين متهمين بأعمال قتل. كيف يجرؤ الذين ارتكبوا جرائم القتل طوال سنين مضت على قول مثل هذا الادعاء؟.

س: هل أنت ضد عملية السلام؟

ج: أنا مع قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، التي صدرت عام ١٩٨٨ في الجزائر. إنها تتضمن الإعتراف بدولة إسرائيل، وتدعو إلى الإستقلال الفلسطيني في حدود ١٩٦٧. إنني أتذكر في طفولتي علاقات الجوار الحسنة مع اليهود. لقد تزوج ابن خالي يعقوب طوقان وهو من مدينة نابلس إمرأة يهودية، ولي علاقات حسنة مع عائلتهم. غير أن مطالب الحركة الصهيونية أخذت بالتزايد بشراهة لا حد لها. لقد خسرنا في عام ١٩٤٨ كل شيء تقريباً، وبعد ٤٠ سنة في مؤتمر الجزائر قررنا الاكتفاء بما بقي لنا من صخور وجبال الضفة الغربية والشاطئ الضيق في غزة. غير أن إسرائيل رفضتنا ولا تزال ترفضنا بمواقفها الرفضية. ليس ثمة عائلة فلسطينية لم تعانِ ولم تضحِ بالأنفس أو الممتلكات. ومع ذلك قلنا: يكفي! سنكتفي بحدودنا

المقلَصة. وبالنسبة لنا هذا تنازل من الصعب وصفه. حين يُسأل الإسرائيليون: (من أين أنتم؟) نسمع مختلف الأجوبة: «من بولندا، من روسيا ... إلخ. ولكن عندنا تسمعون الفلسطينيين يقولون: من يافا، حيفا، الرمله، .. وهكذا. ورغم ذلك قلنا هيا لنجد حلاً وسطًا. هيا لنبني العلاقات الودية. وما الذي حصلنا عليه اليوم؟ مستوطنات في غزة والضفة بقيت في مكانها، بل تتعزز وتتسع! وتصادر لأجلها الأرض لشق الطرق الالتفافية. أما نحن فلا يُسمح لنا الدخول إلى القدس، وحتى لا نستطيع السفر من مكان لآخر.

س: الإتفاق قائم على مراحل. وهذه المرحلة مرحلة إنتقالية، وفي المستقبل سيتفاوضون على هذا الموضوع.

ج: لا يمكن الإنتظار. إن ما يحدث لعائلتي يمكن إعتباره نموذجاً. أنا أرملة، ولديَّ خمسة أولاد متزوجين ويسكنون في الأردن وفي إمارة قطر. والاحتلال لا يسمح لهم بالعودة والسكن هنا في البيت. ساجي ابني اعتقل عام ١٩٦٧ كمقاتل وحكم عليه بالسجن لمدة سبع سنوات. وبعد خمس سنوات قالت له سلطات الاحتلال إنهم مستعدين لتخفيض سنتين من حكمه مقابل موافقته على الإبعاد إلى خارج البلاد دون عودة. ورفض وأمضى العامين داخل السجن. ورغم ذلك وحين تحرر من السجن أبعدوه ولم يسمحوا له بالعودة إلى الوطن. وقبل عام تمكنتُ من الحصول على تصريح زيارة له، وبعد أن مكث هنا أيام معدودة أبلغني الحاكم العسكري أنه حصل خطأ في التصريح، وأنهم لم يعرفوا أنه مبعد، ولذلك عليه مغادرة البلاد فوراً. وبصعوبة استطاع زيارة قبر والده قبيل تسفيره. وابني الثاني سمير، طبيب أطفال، أراد زيارة البلاد مع زوجته وأولاده، ولكنهم يعذبونه منذ أكثر من شهر. لقد أنفقت كثيراً على المحامين الذين حاولوا عبثاً إستصدار تصريح جمع شمل لأولادي. ولم تسفر محاولاتهم، التي إستمرت لسنوات، عن شيء.

وبقيتُ هنا لوحدي بدون أولادي وأحفادي. وأحياناً قمت بنشر رسائل وجهتها إلى الأمهات الإسرائيليات أشرح معاناة الفلسطينيين والفلسطينيات، ولكن دون جدوى. ومثال آخر، أنظر إلى هذا الإنسان الذي يعمل سائق في جمعيتنا، والذي تسافر زوجته وأولاده إلى الأردن طوال الوقت ذهاباً وإياباً من وإلى الضفة لعدم وجود تصريح إسرائيلي يمنحهم حق السكن الدائم هنا. وثمة الآلاف يعانون مثله. ولأجل كل هؤلاء أحسست بواجب خوض الإنتخابات.

س: ما هي فرص نجاحك في الإنتخابات؟

ج: حتى لو لم أستطع الحصول إلا على ١٠٪ من الأصوات، فإن بإمكاني اعتبار هذا نجاح. ولكنني أعتقد أن بإمكاني أن أحصل على ثلث الأصوات. فالجمهور يعرفني ويعرف ماذا فعلت. لقد اعتقلت ست مرات من قبل السلطات الإسرائيلية. وكانوا يعتقلونني إدارياً، ولم يقدمونني للمحاكمة. وكانت فترات الاعتقال تتراوح من ثلاثة إلى أربعة أسابيع. وأنا عضو في المجلس الوطني الفلسطيني، ولا أنتمي لأي حزب. وقد انتخبوني كسيدة وحيدة للمؤسسات الوطنية التي أقيمت في المناطق منذ عام ١٩٦٧. وعموماً أنا لا ابحث عن وظائف. يكفيني العمل الذي أقوم به، وهو بالنسبة لي أفضل بكثير من رئاسة السلطة الفلسطينية. ولكن حين أشاهد ما يحدث حولي لا أستطيع أن أقف متفرجة، إنني ملزمة بأن أقف، وأن أحذَّر من أنه لا يمكن الاستمرار في واقع يسيطر فيه شعب على شعب آخر سُلبت كافة حقوقه الأساسية[1].

في رسالتة المؤرخة ١٨/ ٣/ ١٩٩٩، والتي وجهها للإحتفال الذي أقيم لتأبين المرحومة سميحة خليل، قال الرئيس ياسر عرفات رحمه الله:

«في العقود الأخيرة وتحت حراب الاحتلال الإسرائيلي لأرضنا المحتلة عام

(١) هآرتس، ٤/ ١/ ١٩٩٦، بقلم داني روبينشتاين، (ترجم المقابلة: عطا القيمري).

١٩٦٧، كانت الأخت سميحة خليل تتصدر صفوف النضال الوطني الجماهيري في مواجهة الاحتلال ومنذ أيامه الأولى؛ وتقدم بذلك نموذجاً رائداً ومتقدماً لدور المرأة الفلسطينية. وفي جمعيتها، جمعية إنعاش الأسرة، بنت أم خليل وأخواتها وطناً فلسطينياً مصغراً محرراً تحت حراب الاحتلال. وفي هذا الوطن الصغير، الذي كان يكبر يوماً بعد يوم ويتوسع، مبان ومشاريع ونشاطات ليصبح مفخرةً لنا، كانت أم خليل تُحدثُ ثورةً في مفهوم العمل الإجتماعي الخيري بربطه بمتطلبات وأهداف الثورة الفلسطينية، إبتداءً من رعاية اسر الشهداء والمعتقلين وإيجاد فرص عمل لهم، إلى توفير فرص التدريب والتعليم لآلاف الفتيات، وصولاً إلى الإهتمام بالتراث والفلكلور الفلسطيني كمكون أساسي للهوية الفلسطينية التي كانت تتهددها مخططات الإحتلال الإستيطاني الإسرائيلي».

يضيف الرئيس عرفات:

«وأذكر عندما التقيت الراحلة الكبيرة عندما قدمت من تحت حراب الاحتلال إلى مقر قيادة الثورة في بيروت عام ١٩٧٥، حيث استمعنا إلى تحليلها العميق للوضع ولمتطلبات العمل الوطني، وحيث لمست وإخواني في القيادة الفلسطينية هاجسها الأكبر حماية وتصليب الوحدة الوطنية، وهو ما سعت دائماً لتكريسه عبر دورها القيادي الرائد في الهيئات القيادية للمقاومة في بلادنا. وعزاءنا في رحيلها أنها شهدت البدايات الصعبة لإعادة بناء وإعمار الوطن الكبير فلسطين التي سيذكر شعبها دائماً فقيدتهم وهو ماض في طريق بناء دولته المستقلة فوق ترابه الوطني».

وأخيراً فإن ما أوردته في هذه المقالة، اقتباساً أو تعليقاً، لا يعكس سوى لمحات مختصرة من شخصية إنسانة فلسطينية مكافحة، حاولت أن تؤدي رسالةً نبيلة مفعمة بالعطاء والريادة، وغنية بالتجارب والتضحيات والتحديات، ورسمت من خلالها نموذجاً للمرأة الفلسطينية الباسلة التي تحب وطنها وتعمل من أجل خدمة قضاياه العادلة.

على قبرها في مقبرة البيرة، هناك جملة صغيرة مكتوبة بخط جميل:

سميحة خليل: توفيت في ٢٦ شباط ١٩٩٩. ناضلت من أجل حرية وإستقلال الشعب الفلسطيني.

سميحه خليل في العشرين من عمرها

في منزلها بغزة

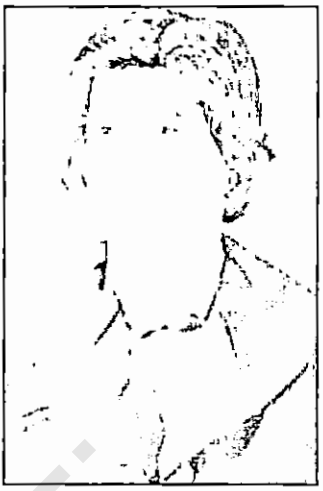

obeikan.com